

# مكتبة مشكاة الإسلامية زاد المسير في علم التفسير

## ابن الجوزي سورة لقمان

وهي مكية في قول الأكثرين، وروي عن عطاء أنه قال: هي مكية سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة، وهما قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ \* مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ } والتي بعدها [لقمان: 27، 28] وروي عن الحسن أنه قال: إلا آية نزلت بالمدينة وهي قوله { لَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } [لقمان: 4] لأن الصلاة والزكاة مدنيتان.

بسم الله الرحمن الرحيم

{ أَلَمْ نَكْتُبْ لَكَ آيَاتٍ لِكِتَابٍ لِحَكِيمٍ \* هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ \* لَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* } وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ \* وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلِيَ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لِمَن يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ \* إِنَّ لَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ أَلْوَعٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقِيَامُ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ \* هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ لَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ شَكَرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ \* وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ {

قوله تعالى: { هُدًى وَرَحْمَةً } وقرأ حمزة وحده { وَرَحْمَةً } بالرفع، قال الزجاج: القراءة بالنصب على الحال والمعنى: تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة، ويجوز الرفع على إضمار { وَرَحْمَةً } وعلى معنى { تِلْكَ } هُدًى وَرَحْمَةً { وقد سبق تفسير مفتاح هذه السورة [البقرة: 5] إلى قوله: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ } قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية مغنية، وقال مجاهد: نزلت في شراء القيان والمغنيات، وقال ابن السائب ومقاتل: نزلت في النصر بن الحارث، وذلك أنه كان تاجرا إلى فارس، فكان يشتري أخبار الأعاجم، فيحدث بها قريشا ويقول لهم:

إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسغنديار وأخبار الأكاسرة، فيستمحون حديثه، ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية.

وفي المراد بلهو الحديث أربعة أقوال.

أحدها: أنه الغناء. كان ابن مسعود يقول: هو الغناء والذي لا إله إلا هو، يرددتها ثلاث مرات، وبهذا قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: اللهو، الطبل.

والثاني: أنه ما ألهى عن الله، قاله الحسن، وعنه مثل القول الاول.  
والثالث: أنه الشرك قاله الضحاك.

والرابع: الباطل قاله عطاء.  
وفي معنى يشتري قولان.

أحدهما: يشتري بماله وحديث النضر يعضده.

والثاني: يختار ويستحب، قاله قتادة ومطر، وإنما قيل لهذه الأشياء: لهو  
الحديث لأنها تلهى عن ذكر الله.

قوله تعالى: {لِيُضِلَّ} المعنى: ليصير أمره إلى الضلال، وقد بينا هذا  
الحرف في [الحج: 9].

وقرأ أبو رزين والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش وأبو جعفر {لِيُضِلَّ} {  
بضم الياء والمعنى. ليضل غيره وإذا أضل غيره، فقد ضل هو أيضا.

قوله تعالى: {وَيَتَّخِذَهَا} قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو  
بكر عن عاصم {وَيَتَّخِذَهَا} برفع الذال. وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن  
عاصم بنصب الذال. قال أبو علي: من نصب عطف على «ليضل ويتخذ»

ومن رفع عطفه «على من يشتري ويتخذ».

وفي المشار إليه بقوله: ويتخذها قولان.

أحدهما: أنها الآيات.

والثاني: السبيل.

وما بعد هذا مفسر في مواضع قد تقدمت [الاسراء: 46، الانعام: 25،  
البقرة: 25، الرعد: 2، النحل: 15، الشعراء: 7] إلى قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا  
لُقْمَانَ لِحْكَمًا} وفيها قولان.

أحدهما: الفهم والعقل، قاله الأكثرون.

والثاني: النبوة، وقد اختلف في نبوته على قولين:

أحدهما: أنه كان حكيما ولم يكن نبيا، قاله سعيد بن المسيب ومجاهد  
وقتادة.

والثاني: انه كان نبيا، قاله الشعبي وعكرمة والسدي. هكذا حكاه عنهم  
الواحد، ولا يعرف إلا ان هذا مما تفرد به عكرمة، والقول الأول اصح.  
وفي صناعته ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه كان خياطا، قاله سعيد بن المسيب.

والثاني: راعيا، قاله ابن زيد.

والثالث: نجارا قاله خالد الربيعي.

فأما صفته، فقال ابن عباس: كان عبدا حبشيا. وقال سعيد بن المسيب:  
كان لقمان أسود من سودان مصر. وقال مجاهد: كان غليظ الشفتين  
مشقق القدمين،

وكان قاضيا على بني إسرائيل.

قوله تعالى: {أَنْ شَكَرْ لِلَّهِ} المعنى: وقلنا له ان أشكر لله على ما  
أعطاك من الحكمة {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} أي إنما يفعل لنفسه  
{وَمَنْ كَفَرَ} النعمة، فان الله لغني عن عبادة خلقه.

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَمَيْنِ أَنْ  
شَكَرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ\* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ  
لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ

**إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ \* يُبَيِّنُ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ أَلَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ \* يُبَيِّنُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَطَهِّرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {**

قوله تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ } قال مقاتل: نزلت في سعد بن أبي وقاص وقد شرحنا ذلك في [العنكبوت: 8].

قوله تعالى: { حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ } وقرأ الضحاك وعاصم الجحدري { وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ } بفتح الهاء فيهما. قال الزجاج: أي ضعفا على ضعف، والمعنى: لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة. وموضع «أن» نصب ب { وَوَصَّيْنَا } المعنى: ووصينا الإنسان أن أشكر لي ولوالديك أي وصيناه بشكرنا وشكر والديه.

قوله تعالى: { وَوَفِّصَالُهُ فِي عَامَيْنِ } أي فطامه يقع في انقضاء عامين. وقرأ إبراهيم النخعي وأبو عمران والأعمش { وَوَفِّصَالُهُ } بفتح الفاء. وقرأ أبي بن كعب والحسن وأبو رجاء وطلحة بن مصرف وعاصم الجحدري وقتادة { وَوَفِّصَالُهُ } بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف. والمراد التنبيه على مشقة الولادة بالرضاع بعد الحمل. قوله تعالى: { وَإِنْ جَهَدَاكَ } قد فسرنا ذلك في سورة [العنكبوت: 8] إلى قوله: { وَوَصَّيْنَاهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } قال الزجاج: أي مصاحبا معروفا، تقول: صاحبه مصاحبا ومصاحبة. والمعروف ما يستحسن من الأفعال.

قوله تعالى: { وَوُتِّعَ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَىٰ } أي من رجع إلي، وأهل التفسير يقولون: هذه الآية نزلت في سعد، وهو المخاطب بها. وفي المراد بمن أناب ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه أبو بكر الصديق، قيل لسعد:

اتبع سبيله في الإيمان، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء. وقال ابن اسحاق. أسلم على يدي أبي بكر الصديق عثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف.

والثاني: أنه رسول الله ص، قاله ابن السائب.

والثالث: من سلك طريق محمد وأصحابه، ذكره الثعلبي.

ثم رجع إلى الخبر عن لقمان فقال: { أَوْ بَيْنِي } وقال ابن جرير: وجه اعتراض هذه الآيات بين الخبرين عن وصية لقمان، أن هذا مما أوصى به لقمان ابنه.

قوله تعالى: { إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ } وقرأ نافع وحده { مِثْقَالَ حَبَّةٍ } {

يرفع اللام. سبب قول لقمان لابنه هذا قولان.

أحدهما: أن ابن لقمان قال لأبيه: رأيت لو كانت حبة في قعر البحر، أكان الله يعلمها، فأجابه بهذه الآية قاله السدي.

والثاني: أنه قال يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فأجابه بهذا، قاله مقاتل.

قال الزجاج: من قرأ برفع { المِثْقَالِ } مع تأنيث { تَكُ } فلأن مِثْقَالَ حبة من خردل راجع إلى معنى خردلة، فهي بمنزلة إن تك حبة من خردل. ومن قرأ { مِثْقَالَ حَبَّةٍ } فعلى معنى: إن التي سألتني عنها إن تك مِثْقَالَ حبة

وعلى معنى: إن فعلة الإنسان وإن صغرت يأت بها الله، وقد بينا معنى  
مثقال حبة من خردل في [الأنبياء 47].  
قوله تعالى: { فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ } قال قتادة: في جبل. وقال السدي: هي  
الصخرة التي تحت الأرض السابعة، ليست في السماوات ولا في الأرض.  
وفي قوله: { يَأْتِ بِهَا اللَّهُ } ثلاثة أقوال.  
أحدها: يعلمها الله، قاله أبو مالك.  
والثاني: يظهرها، قاله ابن قتيبة.

والثالث: يأت بها الله في الآخرة للجزاء عليها.  
{ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ } قال الزجاج: لطيف باستخراجها، خبير بمكانها، وهذا  
مثل لأعمال العباد والمراد: أن الله تعالى يأتي بأعمالهم يوم القيامة من  
يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.  
قوله تعالى: { وَ وَطِئَ عَلَى مَا أَصَابَكَ } أي: في الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر من الأذى. وباقي الآية مفسر في [آل عمران: 286].

**{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
مُخْتَالٍ فَخُورٍ \* وَ قُصِدَ فِي مَشْيِكَ وَ عُضُضَ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ  
لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }**

قوله تعالى: { وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ } قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم،  
وأبو جعفر، ويعقوب: { تُصَعِّرُ } بتشديد العين من غير ألف. وقرأ نافع،  
وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بألف من غير تشديد. قال الفراء: هما  
لغتان، ومعناهما: الإعراض من الكبر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء، وابن  
السميفع، وعاصم الجحدري: { وَلَا تُصَعِّرُ } باسكان الصاد وتخفيف العين  
من غير ألف. وقال الزجاج: معناه: لا تعرض عن الناس تكبرا؛ يقال: أصاب  
البعير صَعَرَ، إذا أصابه داء يلوي منه عنقه. وقال ابن عباس: هو الذي إذا  
سلم عليه لوى عنقه كالمستكبر. وقال أبو العالية: ليكن الغني والفقير  
عندك في العلم سواء. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة  
فيراه فيعرض عنه. وباقي الآية بعضه مفسر في [بني إسرائيل 37]  
وبعضه في سورة [النساء 36].

قوله تعالى: { وَ قُصِدَ فِي مَشْيِكَ } أي: ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا  
إسراعا، قال عطاء أمش بالوقار والسكينة.  
قوله تعالى: { وَ عُضُضَ مِنْ صَوْتِكَ } أي: انقص منه. قال الزجاج: ومنه  
قولهم: غضضت بصري، وفلان يغض من فلان، أي: يقصر به.  
{ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ } وقرأ أبو المتوكل، وابن أبي عبيدة: { إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ  
بفتح الهمزة. ومعنى أنكر: أقيح تقول: أتانا فلان بوجه منكر أي قبيح.  
وقال المبرد: تأويله أن الجهر بالصوت ليس بمحمود، وأنه داخل في باب  
الصوت المنكر. وقال ابن قتيبة: عرّفه قُبْحُ رفع الأصوات في المخاطبة  
والملاحة بقبح أصوات الحمير، لأنها عالية. قال ابن زيد: لو كان رفع  
الصوت خيرا ما جعله الله للحمير. وقال سفيان الثوري: صياح كل شئ  
تسبيح لله عز وجل إلا الحمار، فإنه ينهق بلا فائدة.

فان قيل: كيف قال لصوت ولم يقل لأصوات الحمير؟ فالجواب: أن لكل  
جنس صوتا، فكأنه قال: إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس.

**{ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ لِلَّهِ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ يَبْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ }**

قوله تعالى: { وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ } أي: أوسع وأكمل { نِعْمَهُ } قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: { نِعْمَهُ } أرادوا جميع ما انعم به. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: { نِعْمَتٌ } على التوحيد. قال الزجاج: هو ما أعطاهم من توحيدهم. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ص فقلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: «أما ما ظهر: فالإسلام، وما سوى الله من خلقك وما أفضل عليك من الرزق، وأما ما بطن فستر مساويء عملك ولم يفضحك» وقال الضحاك: الباطنة: المعرفة، والظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الاعضاء.

قوله تعالى: { أَوْلُو كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ } هو متروك الجواب، تقديره أفتبعونه؟.

**{ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ \* وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* ثُمَّ نُنزِلُ إِلَيْهِمْ عَذَابَ غَلِيظٍ \* وَإِلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ لَعَنِيُّ الْحَمِيدِ \* وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ لَبَخْرٌ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }**

قوله تعالى: { وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ } وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وقتادة: { وَمَن يُسَلِّمْ } بفتح السين وتشديد اللام. وذكر المفسرون أن قوله: { وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ } منسوخ بأية السيف، ولا يصح لانه تسلية عن الحزن، وذلك لا ينافي الأمر بالقتال، وما بعد هذا قد تقدم تفسير ألفاظه في مواضع [هود 48، العنكبوت 61، البقرة 267] إلى قوله: { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ \* مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ } وفي سبب نزولها فولان.

أحدهما: أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ص: أرأيت قول الله عز وجل: { وَمَا أوتيتُمْ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا قَلِيلًا } [الاسراء 85] إيانا يريد أم قومك؟ فقال: «كلاً» فقالوا: ألسنت تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء؟ فقال: «إنها في علم الله قليل»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد ابن جبير عن ابن عباس.

والثاني: أن المشركين قالوا في القرآن: إنما هو كلام يوشك أن ينفذ وينقطع، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة، ومعنى الآية: لو كانت شجر الأرض أقلاما، وكان البحر ومعه سبعة أبحر مدادا، وفي الكلام محذوف تقديره: فكتب بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله، لتكسرت الأقلام ونفذت البحور، ولم تنفذ كلمات الله أي: لم تنقطع.

فأما قوله { وَ لَبَخْرٍ } فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي:

{ وَ لُبَّخْرٍ } بالرفع ونصبه أبو عمرو. وقال الزجاج: من قرأ { وَ لُبَّخْرٍ } بالنصب فهو عطف على { مَا }، المعنى: ولو أن ما في الأرض، ولو أن البحر، والرفع حسن على معنى والبحر هذه حاله، قال اليزيدي: ومعنى يمه من بعده: يزيد فيه، يقال مد قدرك أي زد في مائها، وكذلك قال ابن قتيبة: يمه من المداد لا من الإمداد، يقال مدت دواتي بالمداد وأمدتة بالمال والرجال.

{ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَجِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ لَيْلًا فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَخْرُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ \* ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ هُوَ لِحَقِّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَبَطِيلٌ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ لَعَلِّي لَكَبِيرٌ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ لِفَلَكَ تَخْرِي فِي لُبَّخْرٍ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ \* وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوُجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا تَجَهَّمُوا إِلَى لُبَّخْرٍ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ }

قوله تعالى: { مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَجِدَةٍ } سبب نزولها أن أبي بن خلف في آخرين من قريش قالوا للنبي ص: إن الله خلقنا أطوارا: نطفة، علقة، مضغة، عظاما لحمًا، ثم تزعم أنا نبعث خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة، فنزلت هذه الآية ومعناها: ما خلقكم ايها الناس جميعا في القدرة إلا كخلق نفس واحدة، ولا بعثكم جميعا في القدرة إلا كبعث نفس واحدة، قاله مقاتل.

وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [آل عمران 27] [الرعد 2، الحج 62] إلى قوله: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ لِفَلَكَ تَخْرِي فِي لُبَّخْرٍ بِنِعْمَتِ اللَّهِ } قال ابن عباس: من نعمه جريان الفلك { لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ } أي: ليرىكم من صنعته عجائبه في البحر، وابتغاء الرزق { أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ } قال مقاتل: أي: لكل صبور على أمر الله شكور في نعمه.

قوله تعالى: { وَإِذَا غَشِيَهُمْ } يعني الكفار، وقال بعضهم: هو عام في الكفار والمسلمين { مَوُجٌ كَالظُّلَلِ } قال ابن قتيبة: وهي جمع ظلة، يراد أن بعضه فوق بعض فله سواد من كثرته.

قوله تعالى: { دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ } وقد سبق شرح هذا [يونس 22] والمعنى أنهم لا يذكرون أصنامهم في شدائدهم، إنما يذكرون الله وحده، وجاء في الحديث أن عكرمة بن أبي جهل لما هرب يوم الفتح من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أهل السفينة: أخلصوا فان ألهتكم لا تغني عنكم شيئا هاهنا، فقال عكرمة: ما هذا الذي تقولون؟ فقالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله، فقال: هذا إله محمد الذي كان يدعونا إليه؟ لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص، ما ينجيني في البر غيره أرجعوا بنا، فرجع فأسلم.

قوله تعالى: { فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: مؤمن، قاله الحسن.

والثاني: مقتصد في قوله، وهو كافر، قاله مجاهد. يعني أنه يعترف بأن الله وحده القادر على إنجائه، وإن كان مضمرا للشرك.

والثالث: أنه العادل في الوفاء بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد، قاله مقاتل.

فأما الختار، فقال الحسن: هو الغدار. قال ابن قتيبة: الختر أقبح الغدر وأشدّه.

{يَأْيَهَا النَّاسُ يَفُؤُوا رَبَّكُمْ وَحَسَبُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتَكُمْ لِحَيَوُهُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزَّتْكُمْ بِاللَّهِ لِعُرُورٍ\* إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ لِعَيْتٍ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّادَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ حَبِيرٌ}

قوله تعالى: {يَأْيَهَا النَّاسُ يَفُؤُوا رَبَّكُمْ} قال المفسرون: هذا خطاب لكفار مكة. وقوله: {لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ} أي لا يقضي عنه شيئاً من جنائته ومظالمه. قال مقاتل: وهذا يعني به الكفار. وقد شرحنا هذا في [البقرة 48] قال الزجاج: وقوله: {هُوَ جَارٌ} جاءت في المصاحف بغير ياء، والأصل {جازي} بضمه وتنوين. وذكر سيبويه والخليل أن الإختيار في الوقف هو {هُوَ جَارٌ} بغير ياء. هكذا وقف الفصحاء من العرب ليعلموا أن هذه الياء تسقط في الوصل. وزعم يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكن الإختيار اتباع المصحف.

قوله تعالى: {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أي: بالبعث والجزاء {فَلَا تَعْرَتَكُمْ لِحَيَوُهُ الدُّنْيَا} بزيتها عن الإسلام والترود للآخرة {وَلَا يَعْزَّتْكُمْ بِاللَّهِ} أي: بحلمه وإمهاله الغرور يعني: الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يغرر. قال الزجاج: الغرور على وزن الفعول، وفعول من أسماء المبالغة، يقال: فلان أكول: إذا كان كثير الأكل، وضروب: إذا كان كثير الضرب، فقيل للشيطان: غرور لأنه يغرر كثيرا. وقال ابن قتيبة: الغرور بفتح الغين الشيطان، وبضمها: الباطل.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} سبب نزولها أن رجلا من أهل البادية، جاء إلى النبي ص فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلدنا مجذب فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى اموت؟ فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد.

ومعنى الآية: إن الله عز وجل {عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} متى تقوم، لا يعلم سواه ذلك {وَيُنزِّلُ لِعَيْتٍ} وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: {وَيُنزِّلُ} بالتشديد، فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ألبا أم نهارا {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} لا يعلم سواه ما فيها أذكرا أم أنثى أبيض أو أسود {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّادَا تَكْسِبُ غَدًا} أخيرا أم شرا {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} أي:

بأي مكان. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن أبي عبلة: {بِئْتَايَةِ} بياء مكسورة والمعنى: ليس أحد يعلم أين مضجعه من الأرض حتى يموت، أفي بر أو بحر أو سهل أو جبل. وقال أبو عبدة: يقال بأي أرض كنت وبأية أرض كنت لغتان. وقال الفراء: من قال بأي أرض اجتزا بتأنيث الأرض من أن يظهر في «أي» تأنيثا آخر، قال ابن عباس: هذه الخمس لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل مصطفى. قال الزجاج: فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه كفر بالقرآن، لأنه خالفه.